المحاضرة الثانية عشرة:

- دراسة القافية
- حروفها، حركاتها
- أنواعها وعيوبها

تعدّ القافية قسيمة الوزن في بناء القصيدة الشعرية، وقد اهتمّ بها النقاد والأدباء كثيرا ، قديما وحديثا.

1-تعريفها:

يختلف العروضيون في تحديد مدلول القافية في الشعر العربي، من قائل بأنّها الحرف الأخير من البيت إلى محدّد لها من آخر ساكن في البيت مع الساكن الذي قبله مع الحرف الذي يسبقه، وإلى رأي آخر بأنّها آخر كلمة في البيت[1]...

فإن كان البيت –مثلا– ينتهي بكلمة: "أَمْيَلُو": 0//0/ جعلنا اللام مع الواو قافية له، أمّا على الرأي الثاني فإننا نبدأ من الساكن الأخير الذي هو الواو إلى الساكن الذي قبله وهو الميم الساكنة، مع المتحرك الذي يسبقها وهي الهمزة.

وقال الأخفش: " اعلمْ أن القافية آخر كلمة في البيت. وإنما قيل لها قافيةٌ لأنها تقفو الكلام. وفي قولهم قافية دليل على أنّها ليست بالحرف، لأن القافية مؤنثةٌ، والحرف مذكر"[2].

وهنا يؤكد الأخفش على كون القافية آخر كلمة من البيت .

2-حروفها:

حروف القافية ستّة: الرويّ والوصل والخروج والتأسيس والردف والدخيل.

2-1 الرويّ:

وهو الحرف الذي تنظم عليه القصيدة، شرط ألا يكون حرف مدّ ولا هاء، فيمكن أن يكون حرف ياء أو واو متحركتين. فتلقب القصيدة برويّ أبياتها، فيقال يائية أو واوية، أو ميمية ...

[1] – ميزان الذهب، ص108.

[2] – الأخفش الأوسط، القوافي، ص01.

2-**2 الوصل:** وهو حرف مد (ألف واو ياء) يلي حرف الرويّ مباشرة، وقد تكون الهاء وصلا إذا تلاها أحد أحرف العلة.

2-3 **الخروج:** بفتح الخاء ويكون حرف علة عند إشباع الهاء إذا كانت وصلا.

2-4 **الردف:** وهو حرف مد قبل الروي مباشرة لا يفصل بينها وبينه بفاصل، وقد يكون حرف لين أيضا.

2-5 **التأسيس:** أما هو فحرف مد يفصل بينه وبين الروي حرف صحيح.

2-6 **الدخيل:** هو ذاك الحرف الصحيح الذي يفصل بين الرويّ وحرف التأسيس.

3-حركات القافية:

وهي ستّ حركات أيضا بعدد حروف القافية، وهي: الإشباع، والرَسُّ والحذْو، والتوجيه والمجرى والنفاذ.[1]

3-1 الإشباع: وهو حركة الدخيل الأخيرة.

3-2 **الرَّسّ:** وهو حركة الحرف الذي يسبق حرف التأسيس، كحركة اللام في كلمة: ملَاعب.

3-3 **الحذو:** هو حركة الحرف الذي يسبق الردف، كحركة حرف الراء من كلمة: رَامٍ.

3-4 **التّوجيه:** وهو حركة الحرف السابق للرويّ الساكن، كحركة الفاء من كلمة: لينفِقْ.

3-5 **المجرى:** وهو حركة الرويّ المتحرك المطلق، كحركة اللام من كلمة: معقلُ.

3-6 **النفاذ:** وهو حركة هاء الوصل، في مثل كلمة: منزلهَا.

4-أنواعها:

للقافية نوعان :

[1] – ميزان الذهب، ص113.

4-1 مطلقة: وهي ما كان رويّها متحركا، مثل: مكتبِ.

4-2 مقيّدة: ما كان الرويّ فيها ساكنا، مثل: لم ينمْ.

5-عيوبها:

ذكر أهل العروض للقافية عيوبا، وقد صنفوها على قسمين رئيسين[1]:

أما الأول فيلاحِظُ الرويَّ وحركته المجرى.

أمّا الآخر: فينظر في ما قبل الروي من الحروف والحركات، ويسمى السِّناد.

فعيوب الرويِّ ستة: الإكْفاء، والإجازة (وهما يقعان في الروي)، والإقْواء، والإصراف (وهما يختصان بالمجرى)، والإيطاء والتضمين تابع لهما.

1-الإكْفاء: هو أن يُؤتَى في البيتين من القصيدة بروي مُتجانِس في المخرج لا في اللفظ، نحو «شارح – وشارخ» أو «فارس – وقارص».

2-الإجازة: هي الجمع بين رويَّين مختلفين في المخرج، نحو «عبيدُ وعريقُ» أو «شاربُ – وقاتلُ».

3-الإقواء: هو تحريك المجرى بحركتين مختلفتين غير متباعدتين، مثل الكسرة والضمة في قولك «فوارسِ – ومدارسُ».

4-الإصراف: هو الجمع بين حركتين مختلفتين متباعدتين، كالفتحة والضمة في قولك: «قدرُ – وعبرا»، والفتحة والكسرة في قولك: «رداءَ – وبناءِ».

5-الإيطاء: هو إعادة اللفظة ذاتها بلفظها ومعناها، وإنما يجوز بمعنى مختلف نحو «إنسان» للرجل، ولناظر العين، وأجازوا إعادة اللفظة ذاتها بمعناها بعد سبعة أبيات.

[1] – ينظر: ميزان الذهب، ص119.

6-التضمين: هو تعلق ما فيه قافية بأخرى، وهو قبيح إن كان مما لا يتم الكلام بدونه، ومقبول إذا كان فيه بعض المعنى لكنه يُفسَّر بما بعده.

6-: القافية في الشعر المعاصر

تتميّز القافية في الشعر الحديث والمعاصر بالتجديد والتنوّع خلافا لقافية الشعر التقليدي العمودي المتميّز بوحدة البيت والقافية والرويّ.

أمّا في الشعر المعاصر فنجد القافية موحدة ومزدوجة ومرسلة... فصار الشاعر على الخيار؛ فله أن يتمسك بقافية واحدة في كل أبيات القصيدة أو أن ينوعها في قصيدته.

"فرواد الشعر الحر لم يرفضوا وجود القافية في الشعر... بل حّرروا القافية ذاتيا من التّكرار المُمل الذي يجعل القارئ يترصدُ وروَدها ببلادة، فاستخدموها بألوانٍ مختلفة تتفق مع الانفعالات والحالة النفسّية والرؤى، وبحثوا عن إيقاع للشّعر جديدٍ يكون إيقاعَ العصر[1].

فهنا تؤكد الكاتبة على أهمية القافية في الشعر الحر، إلا أنّها قد حرّرت من قيود الشعر العمودي، فصارت متلونة مختلفة تبعا لاختلاف الحالة النفسية للشاعر.

وممّا قيل في القافية في الشعر المعاصر " إنّها مجموعة أصوات في أخر السطر أو البيت، وهي الفاصلة الموسيقية، يتوقع السامع تكرارها في فترات منتظمة"[2].

وهذا الانتظام الذي يقصد في القول السابق لا يشترط أن يكون في كلّ بيت، بل قد تكون في كلّ بيتين أو أكثر.

وتتميّز قوافي الشعر الحديث والمعاصر بالتنوع والتعدد، فمنها القافية المتناوبة ومنها المتتابعة والمترادفة والمتواترة والمتداركة والمتراكبة...[3]

7-: الجوازات الشعرية

[1] – الرّزاز اللجمي نبيلة، أصول قديمة في شعر جديد، ص 127.

[2] – صفاء خلوصي، التقطيع الشعري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1987، ص235.

[3] – سالمان محمد علوان، الإيقاع في شعر الحداثة، دار العلم والإيمان للنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص271.

ويقصد بها تلك الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر لإقامة الوزن والحفاظ على الإيقاع من الاختلال، وقال سيبَوَيهِ: " اعلم أنّه يَجوز في الشِعر ما لا يجَوز في الكَلام من صَرف ما لا ينصَرِف وحَذف ما لا ينحَذِف"[1].

يبيّن في قوله أنّ الجوازات خاصة بالشعر دون النثر، ومن صورها صرف الاسم الممنوع من الصرف، أو حذف حرف من الكلمة الأصل فيها ألّا يحذف.

ويجب على طالب العروض أن يكون له نصيب من قواعد اللغة العربية، كعلم الصرف والنحو والإملاء ... حتّى يتمكّن من تمييز الأصل التعبيري من الضرورة أو الجواز الشعري.

ومن بين الجوازات الشعرية نذكر[2]:

***- صرف ما لا ينصرف:**

وفيه ينوّن الاسم الممنوع من التنوين والذي يجرّ بالفتحة بدل الكسرة، مثل كلمة: جوامع وهي صيغة منتهى الجموع، فتصير جوامعًا.

***- قصر الممدود ومدّ المقصور:**

ويكون بحذف الهمزة من آخر الاسم الممدود، كما في كلمة: سماء تصير: سما .

وبإضافتها إلى الاسم المقصور، مثل: هدى تصير هداء.

*- إبدال همزة الوصل قطعا، وهمزة القطع وصلا:

مثال الأول تبديل همزة الوصل في كلمة ابن بالقطع فتصير إبن.

[1]- الكتاب، 26/1.

[2] - ميزان الذهب، ص25-27.

ومثال الثاني جعل الهمزة وصلا في الكنية أمّ عامر فتصير: امّ عامر.

***- تشديد المخفف وتخفيف المشدّد:**

أي أنّ الحرف المضعف تحذف منه الشدة أما المخفف فيصبح مشدّدا، مثال الأول كلمة دمَك تصير: دمّك. والآخر: كلمة: تجفٌ تصبح: تجِفْ.

***- تسكين المتحرك وتحريك الساكن:**

مثال الأول هاء الضمير :هو" في درج الكلام، فتقرأ: وهْوَ بتسكين الهاء. والآخر ككلمة: الوحْل تصبح: الوحَل. بتحريك الحاء الساكنة.

*- إشباع حركة ميم الجمع في مثل كلمة: همْ فتحرك الميم وتمدّ نطقا لا خطّا إلا في الكتابة العروضية، فتصير: همُ وتكتب عروضيا: همُو.